

معضلات سليمان العشر

علي الصراف
كاتب عراقي

تواجه سلطة قاسم سليمان في العراق ولبنان معضلات أشبه بجدار يخبط به رأسه كل يوم. أولها، أنه يطلق النار ويقتل المئات في العراق، بينما لا يجرد على أن يُطلق النار في لبنان. والمعضلة ليست في القتل أو عدم القدرة عليه، وإنما في أن نظامه إذا سقط في العراق، فإنه سقط في لبنان، والعكس صحيح، حتى لتكاد "خبطة" الرأس تقول: ما نفع القتل من الأساس، وما الفرق الذي يحدثه إذا كان السقوط أتيا، أم لا.

المعضلة الأخرى، هي أن القتل الذي يُراد له أن يكسر شوكة الاحتجاجات، بات يزيد لها هيبا ويكشف عن الطبيعة الجرائمية للنظام وميليشياته ومرجعياته وصفويته. فكلما سقط ضحايا جدد، خرج المتظاهرون لتشييعهم على الأقل. فتكونت تظاهرات أخرى. وكلما زادت أعداد القتلى، قلت رهبة الخوف من الموت، وارتفعت نسب الغضب.

وللشهداء حافزهم، فانيا. إذ أن دمهم المسفوح يظل يطلب النار في ثقافة العراقيين، وشاهدهم - شاعرهم الأكبر، يقول "أتعلم، أم أنت لا تعلم، أن جراح الضحايا فم، فم ليس كالمذبحي، وليس كآخر يسترحق". وهذه معضلة تزداد كلما أمطر الرصاص على رؤوس المتظاهرين، حتى ليقول "الشاهد" "أتعلم أن جراح الشهيد، تظل عن الثار تستفهم"، فنقول لكل من يحمل الجنان على أكتافه، "تقحّم، لعنت، أزيّر الرصاص، وجربّ من الحظّ ما يقسّم".

المعضلة السادسة هي أن الطائفية باتت عارا وشتمية، حتى لم يعد بوسع الطائفيين أن يتلبسوها. وهذا ما يزيل الغطاء عن "المظلوميات" الكاذبة و"آثار الحقد" الدفين والتميزات بين بشر وحدهم والفقر والتهميش، وليعرفوا أن أدوات تلك "المظلومية" ما كانت إلا مآع فاسدين وماجورين. والمعضلة السابعة، هي أن إيران التي أفسها نظام الولي الفقيه، لن يمكن أن تُغني أحدا، ولا أن توفر له حماية ولا حتى سترا عندما تنهار سلطتها هي الأخرى. فالأثر الذي يمتد من العراق إلى لبنان، ومن لبنان إلى العراق، يكشف لعشرات الملايين من الإيرانيين، كم أن سقوط نظام الولي الفقيه بات هو الباب الوحيد لخروجهم من مستنقع الجهل والتخلف والعنف. المعضلة الثامنة هي أن دولة المحاصصات الطائفية، ليست دولة. إنها زبينة فحسب للمتفعين. وإن إنها لا تصلح للعيش في عالم اليوم، فإن عجزها محكوم بنبذها، ونبذها محكوم بعجزها، وإن "المجرشة" (المطحنة) التي ظلت تطحن فشلا، ما عاد بوسعها أن تدور. فقال الفقير للفقير "نبيت روجي على الجرش، وأدري الجرش يادنيا"، "ساعة وأكسر المجرشة، والعم أبو راعيها".

أجيال من اللبنانيين والعراقيين والإيرانيين، تعرف الآن أنها وقعت ضحية بؤس الجرش، وبؤس المجرشة، تلك التي سلطها "الإسلام السياسي" عليهم، فانتفضوا ليحطموها. المعضلة التاسعة، هي أن الأوطان ظلت أوطانا، وأن المشاريع السياسية العابرة للحدود، لم تعد تغري إلا سقط المتاع. وهو ما يعني أن الميليشيات التي يراهن عليها سليمان تكتشف بنفسها كم أنها لا تمثل هوية يُعتمد بها، ولا انتماء، ولا كيانا، إلا الهراء. معضلة قاسم سليمان الأشد ثقلا، هي أن نظامه سقط في لبنان والعراق وفي إيران نفسها، ولو أوحى العهن المنفوش أن له بقية. والتظاهرات التي تخرج كل يوم للتنديد بالفساد والقتل، هي بالأحرى تظاهرات تشييع.



شعب قتيل منتصر ونظام قاتل مهزوم

2019



الدينية. فقد لعبت تلك المؤسسة دورا خطيرا في الالتفاف على الكثير من القضايا المهمة من خلال التحذير المبطن من أن يفقد الشيعة الحكم. الآن لم تعد تلك اللعبة تنطلي على أحد. فالمتحجون أداروا ظهورهم، بل لأنهم لا يكونون لها احتراماً، تندس نفسها في العمل على إسناد الفاسدين. كما أن شيعية الحكم المطلقة صارت تشكل بالنسبة لهم واحدة من مخلفات الماضي بعد أن عثروا على الطريق التي تقودهم في اتجاه عراقيتهم. تلك صفة يمكنهم من خالها أن يعثروا على وطنهم الضائع. لقد عاد الشباب إلى الثوابت الوطنية التي ظن الكثيرون أنها قد انحمت بشكل نهائي. ذلك هو مصدر قوتهم وهم يواجهون الرصاص الحي بصور عارية. في أحد الأفلام المصورة في الميدان رأيت شابا يقف أمام ملثم مسلح. يقول الملثم وهو يشهر سلاحه "سأقتلك". يجيبه الشاب "أقتلني" فيقتله. ذلك المشهد بماساويته يلخص هزيمة النظام.

وهم أيضا لا يلمسون الجمرة التي كانت تنقد في عقول وقلوب العراقيين الذين انتظروا سنوات طويلة من غير أمل. حين قامت التظاهرات اعتقدوا أنها فقاعة سيتمكن مقتدى الصدر من تفجيرها والإنقراض عليها. غير أن الصدر وجد نفسه معزولا هذه المرة. فعل الرجل ما بوسعنا لاحتواء التظاهرات خاصة وأنه كان المسؤول عن صعود عبدالمهدي، غير أنه فشل فأختر أن ينادى بنفسه. وحين أخفق الصدر لم يجدوا سوى اللجوء إلى الوصية الإيرانية في قمع التظاهرات وسيلة لإنهائها. وهو ما قاد الأوضاع إلى مرحلة الأمل. وهي مرحلة لن يتمكن أحد من تقديم العون لهم من أجل الخروج منها سالمين. وقد يكون وضعهم تحت الرقابة الدولية نهاية طبيعية لمسيرتهم. هناك جرائم ضد الإنسانية ارتكبت في العراق لن ينعف لحوها حتى سقوط النظام برتمته. وهو ما يفترض أن يكون سياسيو الأحزاب الحاكمة على بيئة منه بعد التقرير الأممي. حتى الماضي القريب كان هناك وهم استفاد منه السياسيون اسمه المرجعية

بالنسبة للمحتجين فإنه ليست هناك أهمية لمن يحكم، بل المهم هو أن يجتاز السياسي الذي يحكم اختبار مصداقيته في طريقة الحكم. ولقد فشل جميع سياسيي الأحزاب الحاكمة، من غير استثناء في ذلك الاختبار عبر مهلة الستة عشر عاما السابقة. في مناسبات عديدة اعترف سياسيو العراق بأنهم أخفقوا في إنصاف الشعب، غير أنهم في الوقت نفسه لم يكونوا يظنون أن ذلك الفشل سيكون سببا في الإطاحة بهم وأقول نجمهم. لقد اغتوهم لئذئذ السلطة وتمتعها الرئيسية والجانبية فصاروا يعينون في الأرض فسادا بطرق مختلفة. حتى بدوا كما لو أنهم يصعد تاليف موسوعة الفساد البشري عبر التاريخ من خلال سلوكهم المباشر. وليس مستعبدا أنهم قد قدوا كل حواسهم مغمورين ببحر فسادهم. فهم لا يرون ما آلت إليه أحوال العراق من خراب في ظل حكمهم. وهم لا يسمعون الصرخات التي تندد بالفقر والفاقة والجوع والحاجة. وهم لا يشعرون الراحة العفنة التي تحيط بهم من كل جانب وهي رائحة فسادهم.

فاروق يوسف
كاتب عراقي

بعد تقرير هينيس بلاشيرت ممثلة الأمم المتحدة في العراق خرجت القضية العراقية من نطاق سيطرة الحكومة العراقية. سيفتح ذلك الأفق في اتجاه تحولين خطيرين. الأول يتمثل في شعور المحتجين بأن صوتهم وصل إلى العالم، والثاني يكمن في الإنكماش الذي ستشهده آلة القمع الحكومي التي صارت تحت النظر. وإذا ما كانت بلاشيرت قد أشارت صراحة إلى أن الأزمة لا يمكن حلها بإجراءات ترقيعية مؤقتة، فإن تلك الإشارة تتوافق مع الرض الشعبي للأشخاص الذين ترشحهم الأحزاب لمراسلة الحكومة بدلا من عادل عبدالمهدي الذي استقال بعد وقوع مجزرتين في النجف والناصرية. فالمسألة تجاوزت الخلاف على من يحكم، إلى السؤال التقليدي الذي يضبط العملية الديمقراطية والذي قفزت عليه الأحزاب وهو "كيف يتم الحكم؟".

الطبقة السياسية العراقية على حافة الهاوية

مستقلة للانتخابات، ثم حل البرلمان بعد ذلك. وفي خضم القلق الذي يساور الطبقة السياسية العراقية من الاحتجاجات وقوتها، دعا المرجع الديني الشيعي جواد الخالصي القوى السياسية الحاكمة إلى الرحيل من دون رجعة بعد أن رفض الشعب العراقي وجودها، مشددا على أن الشعب لا يريد الطبقة السياسية الحاكمة. وما أدركته صحيفة "واشنطن بوست"، التي قالت إن العراق يقف على حافة واستقالة رئيس الوزراء تدخله في أزمة طاحنة، لم يدركه السياسيون العراقيون، فهم ما زالوا يتمسكون بالمحاصصة ويبحثون عن الكتلة الأكبر، في حين أن الكتلة الأكبر هم المحتجون لأنهم يشكلون نسبة الـ 80 بالمائة التي عرفت عن الانتخابات الأخيرة، والتي جرت إلى جانبها نسبة الـ 20 بالمائة التي شاركت فيها إلى جانبها في الاحتجاجات العارمة التي شهدتها البلاد، والمتواصلة إلى هذه الساعة. إن سبب ممارسة السلطة العراقية والميليشيات العنف المفرط ضد المحتجين هو أن أي انتخابات مبكرة إذا أجريت سيفلسون منها تماما، فالاحتجاجات جعلتهم عراة أمام العالم وفضحت تزويرهم لرأي الشارع العراقي وإرادته. العراق على حافة الهاوية فعلا، ولكن الهاوية تنتظر الطبقة السياسية الفاسدة، التي لم تتوقف عن فسادها حتى في ذروة الاحتجاجات ورفض الشارع العراقي لها.

وكلاء إيران حكومة إنقاذ وطنية أنتم من يختارها". ويرفض المتظاهرون في ساحات الاحتجاج تعيين رئيس حكومة جديد من الطبقة السياسية الفاسدة، ويؤكدون أنهم سيقدّمون قائمة أسماء لرئيس البلاد، يقترحونها بهذا الخصوص خلفا لعادل عبدالمهدي، وطمانوا العراقيين أن التظاهرات لن تتأثر بتدخل قائد فيلق القدس سليمان أو غيره، وصرح أحد قادة الحراك "نحن لا نثق بالجماعة السياسية، وهي لن تستطيع تمرير مخططاتها علينا هذه المرة. لن نقبل باقل من تحقيق مطالبنا المحقة مهما حاولوا".

العراق على حافة الهاوية فعلا، لكن الهاوية تنتظر الطبقة السياسية الفاسدة، التي لم تتوقف عن فسادها حتى في ذروة الاحتجاجات ورفض الشارع العراقي لها

ومطالب المتظاهرين الأساس تتمثل في تقديم الجناة المتورطين في قتل المتظاهرين إلى العدالة، ثم اختيار رئيس وزراء مستقل مهمته محددة بإقامة انتخابات مبكرة ومفوضية

وتوهمت الطبقة السياسية أن استقالته ستحد من عنفوان الانتفاضة ويعود المحتجون إلى بيوتهم، وهذا كان من ضمن عدم إدراكه لمطالب المنتفضين، فهم يتمسكون بإزاحة كل الطبقة السياسية التي جاءت بعد عام الاحتلال 2003، وقد عبّر عن ذلك هتافهم المقاتل "شلع قلع والذي قالها وإياهم"، مشيرين بذلك إلى زعيم التيار الصدري، الذي يحاول جاهدا اختراق الاحتجاجات لإفشالها، مثل كل مرة، ولم يفلح. معلوم أن مقتدى الصدر يريد أن يقرب النار إلى رغبته لكي ينضج قبل أرغفة الآخرين، كما يقول المثل العراقي الدارج، ولكنه هذه المرة اصطدم بوعي شعبي غير مسبوق، بل أن الكثير ممن كانوا يتبعونه انصرفوا عنه والتحقوا بالاحتجاجات ولقي عدد منهم مصرعه على يد ميليشيات إيران والقوات الأمنية الحكومية أثناء الاحتجاجات السلمية. وللمطرفة فإن أحد المحتجين في ساحة التحرير رفع رقعة كبيرة كتب عليها "يسقط رئيس الوزراء الجديد... الاحتياط واجب"، ومهما كانت الطرافة في هذه الرقعة لكن مغزاها واضح، وهو أن الفاسدين سيختارون فاسدا من بينهم، أو نختاره لهم طهران. فمن الآن ترفع شعار إسقاطه لأن الاحتياط واجب، وقد كتب صحافي معروف على صفحته في وسائل التواصل الاجتماعي ترجمة لهذا يقول "أيها العراقيون لا تقبلوا برئيس حكومة فاسد يختاره الفاسدون وطالبوا أن يكون البديل عن

د. باهرة الشيكلي
كاتبة عراقية

يبود أن الانتفاضة العراقية لن تتوقف، فالنظام العراقي هش وضعيف أمامها وقد زاده استعمال العنف والقمع الدوي هشاشة وضعفا، وكلما أراد النظام التفاوض مع المحتجين أرسل إليه المحتجون أسماء مفاوضين عنهم، فيكتشف النظام أن الأسماء المرسله هي أسماء شهداء قضا على يد قواته، ورفع المحتجون في الساحات شعار "الشهيد قائدنا". فضلا عن ذلك، فإن النظام لم يدرك إلى الآن ماذا يريد المحتجون. فهم في الوقت الذي يحتجون على نظام المحاصصة يوغل النظام في التمسك بالمحاصصة، وعندما يحتجون على خدمته للنظام الإيراني يزيد من اعتماده على النظام الإيراني، ويستقبل رمز الإرهاب قاسم سليمان، قائد فيلق القدس الإيراني في بغداد، ويرسل إلى المحتجين معنمين بصفته شخصيات مؤثرة ومحترمة في المجتمع ليتفاوضوا معهم، فيجابهون الطرد من المحتجين. وباختصار شديد، فإن هذا النظام أصبح خارج دائرة الزمن ولم يدرك المتغيرات التي طرأت على المجتمع العراقي، والتي أحدثتها سياساته الخاطئة، حيث أحرق العمامة، سنية كانت أم شيعية، باختباؤه خلفها عندما يقمع ويظلم. استقال رئيس الوزراء عادل عبدالمهدي